الدرس التاسع

مقر الدعوة الجديد: أصبحت المدينة ملاذًا آمنًا للحق وأهله ؛ فبدأت هجرة المسلمين إليها ، غير أن قريشًا عزمت على منع المسلمين من الهجرة ، فلقي بعض المهاجرين صنوفًا من الأذى والعذاب. وكان المسلمون يهاجرون سرًّا خوفًا من قريش ، أما أبو بكر الصديق ﷺ ، فقد كان يستأذن رسول الله ـ ﷺ ـ في الهجرة ، فيقول له: « لا تعجل ، لعل الله يجعل لك صاحبًا » حتى هاجر أكثر المسلمين.

جُنَّ جنون قريش لما رأوا هجرة المسلمين وتجمعهم في المدينة ، وخافوا من علو شأن محمد ودعوته، فتشاوروا في الأمر ، ثم اتفقوا على قتل الرسول ﷺ ، وقال أبو جهل: أرى أن نعطي شابًا جلدًا من كل قبيلة منا سيفًا ، فيحيطوا بمحمد ويضربوه ضربة رجل واحد ، فيتفرق دمه في القبائل ؛ ولا يقوى بنو هاشم بعد هذا على معاداة كل الناس. ولقد أطْلَع الله ـ سبحانه وتعالى ـ نبيه الكريم على المؤامرة ؛ فاتفق مع أبي بكر على الهجرة بعد أن أذن الله له بذلك ، وفي الليل طلب النبي ـ ﷺ ـ إلى علي بن أبي طالب أن ينام مكانه ؛ ليُوهِمَ الناس أنه ما زال في البيت.

جاء المتآمرون وطوقوا البيت ، ورأوا عليًّا في الفراش ، فظنوه محمدًا ـ ﷺ ـ فأخذوا ينتظرون خروجه ؛ لينقضوا عليه ويقتلوه. وخرج رسول الله ـ ﷺ ـ من بينهم وهم مطوِّقُون البيت ، فَذَرَّ التراب على رؤوسهم ؛ فأخذ الله أبصارهم ، فلم يشعروا به ﷺ ، ومضى إلى أبي بكر ، وخرجا معًا نحو المدينة ، واختفيا في غار ثور . أما قريش فبقي فتيانها منتظرين حتى أصبحوا ، فلما أصبحوا قام عليٌّ من فراش رسول الله ـ ﷺ ـ فسُقط في أيديهم ، وسألوه عن رسول الله ـ ﷺ ـ فلم يخبرهم بشيء فضربوه وسحبوه ، لكن دون جدوى. ثم أرسلت قريشٌ الطلب في كل جهة ، وجعلوا مئة ناقة لمن يأتي بمحمد ـ ﷺ ـ حيًّا أو ميتًا ، ووصل الطلب إلى باب الغار الذي يختبئ فيه النبي ـ ﷺ ـ وصاحبه ، حتى لو أنَّ أحدهم نظر إلى قدميه لرآهما ، فاشتد حزن أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ على رسول الله ﷺ ، فقال له النبي ﷺ : « ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما. لا تحزن إن الله معنا » ، لكن القوم لم يروهما. مكث النبي ـ ﷺ ـ وصاحبه في الغار ثلاثة أيام ، ثم انطلقا إلى المدينة ، وكان الطريق طويلًا ، والشمس حارقة ، وفي مساء اليوم الثاني ، مرا بخيمة امرأة يقال لها أم معبد ، فطلبا منها الطعام و الشراب ، فلما يجدا عندها شيئًا ، إلا شاة هزيلة أقعدها الضعف عن الذهاب إلى المرعى، ولم يكن بها قطرة لبن ، فقام إليها رسول الله ﷺ ، فمسح ضرعها فدرَّ الحليب ، ثم حلبها وملأ إناء كبيرًا ؛ فوقفت أم معبد مذهولة مما رأت ، فشرب الجميع حتى ارتووا ، ثم حلب ثانية وملأ الإناء وتركه عند أم معبد وواصل سيره.

كان أهل المدينة يترقبون وصول النبي ـ ﷺ ـ وينتظرونه كل يوم خارج المدينة ، فلما كان يوم وصوله أقبلوا إليه فرحين مرحبين ، ونزل في قباء على مشارف المدينة ، ومكث فيها أربعة أيام ، أسس فيها مسجد قباء ، وهو أول مسجد بُنيَ في الإسلام ، وفي اليوم الخامس ، سار إلى المدينة ، وحاول كثيرٌ من الأنصار أن يفوزوا برسول الله ـ ﷺ ـ ويشرفوا بضيافته عندهم ، فكانوا يُمسكون بزمام ناقته ، فيشكرهم ويقول : « دعوها فإنها مأمورة » ، فلما وصلت الناقة إلى حيث أمرها الله بركت ، فلم ينزل عنها ، فنهضت وسارت قليلًا ، ثم التفتت ورجعت ، فبركت في موضعها الأول فنزل عنها وكان ذلك موضع المسجد النبوي. ونزل النبي ـ ﷺ ـ عند أبي أيوب الأنصاري ﷺ.

أما علي بن أبي طالب ﷺ ، فمكث في مكة ثلاثة أيام بعد النبي ﷺ ، رد خلالها الأمانات التي كانت عند النبي ـ ﷺ ـ إلى أصحابها ، ثم خرج إلى المدينة ولحق بالنبي ـ ﷺ ـ في قباء.